الفصل الخامس والأربعون

اعثرْ على أسرتك

مـن دون أسـرة أنـت وحيـد تمامـاً فـي هـذا العالم، وترتجف من البرد.

أندريه موروا، *فنّ الحياة*

من دون أصدقاء مخلصين وأشخاص يحبّونك بلا شروط من الصعوبة بمكان تحقيق النجاح الذي تتمنّاه. ماذا يفيدنا النجاح، إن لم نتقاسمْه مع أحد؟ ربما كنتَ من المحظوظين الذين وُلِدوا في كنف أسرةٍ قوية ومتماسكة وملؤها الحبّ والحنان. إذا لم تكن الحال هكذا، عليك التفتيش عن أسرتك الخاصة. دعْ نفسك "تُتبنّى". ليس لدى كل إنسان أبوان يستطيعان أن يمنحاه الحبّ غير المشروط، لا تضيّعْ وقتك بإلقاء الاتّهامات على أبويك، بل تقبّلْهما كما هما. ابحثْ لنفسك عن أناسٍ يمكنهم أن يجودوا عليك بهذا الحبّ، وأن يمنحوك هذا الأمان. هناك الكثير من الأشخاص الذين ينطوون على حبٍّ ليعطوه، وما عليك سوى العثور عليهم.

إحدى زبوناتي كشفتْ أن أبويها لم يستطيعا إعطاءها الحبّ الذي تتوق إليه، ولكنها وجدتْه في بيت والدي زوجها؛ فقد احتضنوها كابنةٍ لهم، وهي قبلتْ هذا العرْض بكل سرور. دونْ فقدَ أبويه وهو في الرابعة عشرة من عمره، وترعرع في كنف عمّته. وهو اليوم في الثالثة والثلاثين من عمره، ولا يزال يحبّ عمّته كأمٍّ له، بيد أنه كان يشعر بافتقاده لشخصٍ يأخذ موقع أبيه. نصحتُه بزيارة إحدى دور المسنّين، فهناك يعيش الكثير من الأشخاص الذين يتمنّون لو أن لديهم "ربيب". وهكذا تعرّف دونْ فعلاً على رجل مسنّ، وأخذ يشاطره حتى حماسه لكرة القاعدة. وأخذ دونْ يزور الرجل بانتظام، ووجد أخيراً الحبّ والاهتمام اللذين كان يتوق إليهما منذ زمنٍ طويل. كنْ ممتنّاً إن كان لديك أبوان محبّان، وأظهرْ لهما امتنانك وعرفانك.

نحن نظنّ أننا نمتلك وقت العالم كله، لأننا لا يمكن أن نتصوّر أن أبوينا سوف يرحلان عن هذه الدنيا يوماً ما. ولكن الواقع مختلف للأسف. إحدى زميلاتي كان لديها رغبة دائمة في اصطحاب والدها في رحلة إلى السويد، بيد أنها كانت ترجئ السفر، لأن والدتها كانت شديدة المرض. إلى أن أُصيبَ والدها أيضاً بمشكلاتٍ كلوية، وبات مضطراً إلى إجراء غسيل الدم بشكلٍ منتظم. هكذا عرفتْ أن الحياة لا تسير تبعاً لمخطّط، وقرّرتْ القيام بهذه الرحلة في أقرب وقتٍ ممكن، وأعربتْ الأمّ عن موافقتها على مرافقة زوجها لابنتهما إلى السويد. وأمضى الاثنان عطلةً رائعة، وصرّح والدها أن هذه الرحلة كانت أفضل ما عاشه في سنوات عمره الثلاثة والثمانين. استمتعْ بوقتك مع أبويك. أظهرْ لهما بالقول والفعل كم تحبّهما.